IJHER International Journal of Humanities and Educational Research
ISSN: 2757-5403
Volume 5, Issue 3, June 2023

Received: 17/03/2023 **Accepted:** 22/04/2023 **Published:** 01/06/2023

SYMMETRY OF SYNTACTIC STRUCTURE IN THE QUR'ANIC EXPRESSION

HENNI Sennia [1]
Prof. Dr., ORAN University, Algeria

Abstract:

Symmetry is considered as a linguistic tool that aims at illustrating the system of texts structures, from the smallest unit to the largest unit, which is referred to in the linguistics text as the "sentence of the text" as a whole. This tool aims at identifying the types and varieties of symmetries and to explore the methods of their rotation in texts construction.

The Holy Quran is the only text in which the elements of symmetry have been integrated, as its chapters and verses were engineered in this miraculous structural pattern. It is the primary source for supplying this phenomenon with its diverse elements, which still need to be explored in all its dimensions and intricacies.

The term "Symmetry" is a neologism coined by researcher Ayman Eid Al-Rawajfah, who used it in his research, such as "Symmetry in the Holy Qur'an: Theoretical Foundations and Applications" and "Summetry Grid Theory (Intonation) in the Holy Qur'an,", etc., It is synonymous with the term "proportion," which Arab scholars used in their studies of Qur'anic expression, such as Burhan al-Din (885 AH) in his book entitled "Nizam al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Surah," and al-Suyuti (911 AH) in his book "Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an," where he included a titled section called "In the Proportion of Verses and Chapters," among many others.

Symmetry in the Holy Quran is not limited to chapters and verses but it includes the arrangement of its language structures, vocabulary, and contexts. The research selected the level of structural elements because of their importance in shaping the intended meanings of verses and chapters and because their elements are interconnected in constructing the text. Therefore, the research aimed to elucidate the mechanism of structural symmetry and its effectiveness in engineering the intended meanings through the treatment of models from the Holy Quran.

Key Words: Symmetry - Structure- Expressions - Elements - Meanings.

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.20.10

[1] senniahenni@gmail.com

تناظر البنى التركيبية في التعبير القرآني

هني سنية

البروفيسور، جامعة وهران، الجزائر

الملخص:

يعدّ التناظر وسيلة لغوية تسعى لبيان نظم بنى النصوص، من أصغر وحدة مشكلة لها إلى أكبر وحدة، التي يطلق عليها في لسانيات النص بجملة النصّ. هذه الوسيلة تهدف إلى الوقوف على أنواع المتناظرات وأصنافها، وتتوخى استكشاف أساليب دوارنها في بناء النصوص.

ويعدّ القرآن الكريم النص الأساس والوحيد الذي تكاملت فيه عناصر التناظر، إذ هندست سورة وآياته على هذا النمط البنائي المعجز، فكان المصدر الأساس في إمداد هذه الظاهرة بعناصرها المتنوعة، التي لازالت إلى يومنا بحاجة إلى استكشاف أبعادها ودقائقها.

ومصطلح التناظر من استحداث الباحث أيمن عيد الرواجفة، حيث استعمله في أبحاثه، من ذلك " التناظر في القرآن الكريم: تأصيل وتطبيق." و" نظرية شبكة التناظر (التنغيم) في القرآن الكريم." ... إلخ، وهو مصطلح مرادف لاصطلاح التناسب، الذي استعمله علماء العرب في دراساتهم للتعبير القرآني، من ذلك برهان الدين (ت.885هـ) في كتابه الموسوم: " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور." والسيوطي (ت.911هـ) في كتابه " الإتقان في علوم القرآن." إذ أورد عنواناً موسوماً: " في تناسب الآيات والسور." وغيرهما كثير.

والتناظر في القرآن الكريم لا يقتصر على السور والآيات وحسب، وإنما يشمل نظم تراكيب لغته ومفرداتها وسياقاتها، وقد انتقى البحث مستوى البنى التركيبية؛ لأهميتها في تشكيل المعاني المرادة من نظم الآيات والسور، ولكون عناصرها لبنات متآلفة في بناء النصّ. نظراً لذلك سعى البحث إلى استجلاء آلية تناظر البنى التركيبية وفعّاليتها في هندسة المعاني المرادة، وذلك من خلال معالجة نماذج من القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: تناظر، بُنَى، تركيب، عناصر، معاني.

المقدمة:

تعدّ البنى التركيبية من سمات الدرس اللغوي العربي، إذ بعناصرها يتشكل نظم الكلام وفق مراد محدثه، ويتحقّق بسلامة وظائفها تبليغ الكلام لمستقبله، فيتمّ بذلك حصول الفائدة للمخاطب؛ أي سلامة تشكيل المتكلم للبنى التركيبية وفق وظائفها النحوية يؤدي إلى سلامة فهم المتلقي للكلام، وبالتالي تحقّق الفائدة من الكلام.

والبناء النّصّي يتشكّل من بنى تركيبيّة متنوّعة، مترابطة فيما بينها محدثة نسيجاً متماسكاً، وهذا التماسك المنسجم للبنى التركيبية للنصّ يتمحور حول مبدأ التناظر، سواء أكان تناظر توافق أم تضادّ أم تشابه، هذه التناظرات المتنوعة للبنى التركيبية تهدف إلى الإبانة عن المعاني النحوية التي تفضي بدورها إلى بيان المعنى المقصود الذي أراده محدث الكلام.

وتدور إشكالية موضوع البحث حول مدى جدوى آلية التناظر في تشكيل النصّ وفي تحليله، وبخاصة تناظر عناصر بناه التركيبية. وتوخّى البحث في معالجة موضوعه منهج الوصف والتحليل لنماذج من القرآن الكريم، وسعى إلى بيان أهمية هذه الآلية في المجال التراكيب النحوية.

1.مفهوم التناظر:

1.1.لغة:

(التَّنَاظُرُ) مصدر مصاغ من الفعل (تَنَاظَرَ)، المأخوذ من مادة (ن.ظ.ر)، وأصل معناها يدور حول: تأمّل الشيء ومعاينته، (فارس، 1999، صفحة 55:2) ومنه تفرّع معنى المثل والشبيه والمقابل، فعن (المثل) قيل: «والنظير: المثل، وقيل: المثل في كلّ شيء، وفلان نظيرك؛ أي مثلك» (ابن منظور، 1968، صفحة 4466:55).

وفي معنى (الشبيه) قيل: «والنظير كأمير: المثل والشبيه في كل شيء، يقال: فلان نظيرك؛ أي مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء» (الزبيدي، 1984، صفحة 249:14)، ويقال: «والنظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال» (ابن منظور، 1968، صفحة 4468:55،4465). ورد في هذه المقولات أن النظير هو الشبيه والمثل، غير أن **أبا هلال العسكري** فرّق بينهما فذكر: «أن المثيل ما تكافأ في الذات، والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها» (العسكري، د.ت، صفحة 155)، وبيّن ذلك بمثال، فقال: «كالنحوي نظير النحوي، وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه، ولا يقال النحوي مثل النحوي؛ لأن التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف هو الذات» (ابن منظور، 1968، صفحة 4466:55،4465)

وفي معنى (المقابل) قيل: «تقول العرب: دور آل فلان تنظر إلى دور آل فلان؛ أي هي بإزائها ومقابلة لها.» (ابن منظور، 1968، صفحة 4466:55،4465)، وجاء في متن اللغة بصيغة (فَاعَلَ) (نَاظَرَ) «ناظره: صار له نظيراً، ... وهذا الجيش يناظر ذاك؛ أي يقابله» (رضا، 1958، صفحة 489:5)

وفي صيغة (تَفَاعَلَ) (تَنَاظَرَ) جاءت بمعنى تَقَابَلَ، قيل: «وتناظرت الداران: تقابلتا» (رضا، 1958، صفحة 489:5)، وجاءت بصيغة النفي في قول **الزهري محمد بن شهاب**: «لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله (ﷺ)» (الزبيدي، 1984، صفحة 252:14) ، وفسر **أبو عبيد** مقولة **الزهري** فقال: «أي لا تجعل شيئاً نظيراً لهما ... أو معناه: لا تجعلهما مثلاً لشيء يَعْرِضُ» (الزبيدي، 1984، صفحة 256:14،255)، وأطلقت عبارة **النَظَائِرُ** على ما تشابه من سور القرآن، فقالوا: «ونظائر القرآن: سور المفصّل، سمّيت بذلك لاشتباه بعضها بعضاً في الطول» (ابن منظور، 1968،

صفحة 4467:55)، وفي السياق نفسه قال **ابن مسعود**: «لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله (ﷺ) يقوم بها: عشرين سورة من المفصّل؛ يعني سور المفصّل، سميت **نَظَائِرٌ** لاشتباه بعضها ببعض في الطول» (السيوطي، د.ت، صفحة 185:1)

يتّضح مما سبق أن **التَّنَاظُرَ** يدور ويتمحور حول التشابه والتقابل والتماثل.

وعبارة **النظائر** استعملها علماء العربية في تآليفهم، ومنهم **السيوطي**، حيث عنون النوع التاسع والثلاثين من أنواع كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بـ «معرفة الوجوه والنظائر» وبيّن مقصده من ذلك، فقال: «فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظ الأمة، ... و**النظائر**: كالألفاظ المتواطئة» (السيوطي، د.ت، صفحة 185:1).

ومن المعنى اللغوي صيغ المعنى الاصطلاحي.

2.1. اصطلاحاً:

عرّفه **الرواجفة وسليمان الدقور**، بقولهما: «منهجية قرآنية تؤكّد بناء سور القرآن الكريم وآياته على نظام واضح، محدّد، منضبط، منتظم، تتوافق فيه السور القرآنية لتكون كلّ سورة مناظرة لسورة أخرى، وتتوافق فيه الآيات في السروة الواحدة؛ لتكون كل آية مناظرة لآية أخرى» (الرواجفة، 2019، صفحة 22،23).

يستخلص من التعريف أن التناظر في القرآن صنفان: أحدهما بين السور، والآخر بين الآيات. والملاحظ على التعريف أنه لم يضمّ أنواع التناظر، من حيث إن المتناظرين من الصنفين أ هما متناظران تناظر تشابه أو تماثل أم تناظر تقابل؛ أي تضاد، أم تناظر توافق؟

2. أصناف التناظر.

تتوزّع أصنافه على ثلاثة أقسام:

1.2. التناظر بين سور القرآن الكريم، ويتفرع إلى فرعين: تناظر بين بداية سورة وبين خاتمة سورة أخرى، كالتناظر بين سورة المجادلة والبقرة (الرواجفة، 2019، صفحة 34)، فسورة المجادلة تبدأ بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[المجادلة: 01] ، بدأت السورة بسماع الله المُجَادَلَة والتَّحَاوُر الحاصل بين الشاكية ورسول الله ﷺ، واختتمت سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اِكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُوا عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾[البقرة: 286]، اختتمت السورة بنفي الله تكليف الإنسان فوق طاقته، مقرونٍ بدعاء الإنسان ربّه بجوامع الخيرات، وفي ذلك محاوره غير مباشرة بين العبد وربّه، وللرواجفة تعليل تناظري مختلف، حيث ذكر أن آخر سورة البقرة متناظر مع أول سورة المجادلة، فختام البقرة (دعاء جامع) وفي بداية المجادلة (استجابة للمجادلة بعد سماع شكواها) (الرواجفة، 2019، صفحة 36).

وتناظر بين بداية سورتين، كالتناظر بين سورة الكهف والمدثر (الرواجفة، 2019، صفحة 37). فسورة الكهف تبدأ بقوله تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ الذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ اللهُ أَعْلَمُوا بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26)﴾[الكهف:01-26]، فمحور موضوع هذه الآيات يدور حول واجب الإنذار وما يقابله من بشرى للسالكين منهج الإيمان. وسورة المدثر تبدأ بقوله تعالى: ﴿أَيُّهَا المُدَّثِرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[المدثر:01،02]، جاء فيها نداء الله رسوله بتكليفه بواجب الإنذار. والملاحظ على بداية السورتين أنه في سورة الكهف كان الإنذار متمحوراً حول وسيلة الإنذار، وفي سورة المدّثر تمحور حول المكلَّف بالإنذار، وفي ذلك تناظر تكاملي.

2.2. التناظر بين آيات السورة الواحدة، ويتفرع إلى فرعين: أحدهما: تناظر بين بداية آية وبين خاتمة آية أخرى، كالموجود في سورة الإخلاص (الرواجفة، 2019، صفحة 49،50)، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(1)﴾ وقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾، والآخر: تناظر بين بداية آيتين للسورة نفسها، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (1) اللهُ الصَّمَدُ (2)﴾. ففي الآيتين الأولى والرابعة تحقق التناظر بأسلوبي الإثبات؛ أي إثبات التوحيد لله، والنفي؛ أي نفي من يكافئه ويماثله في الألوهية، وفي ذلك تخليص الألوهية لله وحده، وفي الآيتين الأولى والثانية تحقق التناظر بأسلوب الإثبات؛ أي إثبات التوحيد وإثبات أنه هو وحده المقصود بالحوائج.

3.2. التناظر بين موضوعات السورة الواحدة ومقاطعها، ويتفرع إلى فرعين: **أحدهما**: تناظر بين بداية موضوع وبين خاتمة موضوع آخر، كالموجود في سورة يوسف (الرواجفة، 2019، صفحة 49)، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ(3)﴾[يوسف:03]، مفاد الآية يدور حول من صدر منه القصص القرآني وهو الله – سبحانه وتعالى – الذي أوحى إلى عبده القرآن الكريم، هذا المفاد يتناظر مع موضوع خاتمة السورة نفسها، ويتمثل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الذِّي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾[يوسف:111]، يدور مفاد الآية حول تصديق القصص القرآني في وقائعها، التي فيها عبرة لأولي النهى، وفي ذلك تناظر تقابلي بين مُسْرِدِ وقائع القصص – سبحانه وتعالى - وبين ما يترتب على هذا السرد القصصي من أخذ العبر. **والآخر**: تناظر بين بداية موضوعين، كالموجود في سورة الشرح (الرواجفة، 2019، صفحة 49،50)، ويتمثل الموضوع الأول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾[الشرح:01-04]، تدور هذه الآيات الكريمة حول فضل الله على رسوله، من شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، أما الموضوع الآخر فيتمثل في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)﴾[الشرح:05-08]، وتدور مفادات هذه الآيات الكريمة حول ما ينبغي فعله من الصدق في رغبة التوجه إلى الله على وجه الدوام، بعدّه مقابلاً لأفضال الله عليه ﷺ. فآيات الموضوع الأول تتناظر مع آيات الموضوع الثاني تناظر تقابلي، من حيث كون أفضال الله على رسوله ﷺ يقابلها السعي من رسوله ﷺ إلى الامتثال لأوامره – سبحانه وتعالى – وذلك بتنفيد ما يطلب منه.

3. أقوال العلماء في التناسب (التناظر):

أشاد علماء عدّة بقيمة فكرة التناسب (التناظر)، التي هداهم إليها نظم آيات وسور القرآن الكريم حين انكبابهم على تفحص مفرداته وتراكيبه بقصد فهم معانيه، ومنهم:

1.3. فخر الدين الرازي، حيث قال: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.» (الزركشي، 2006، صفحة 36:1) ، وقال في موضع آخر، حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾[البقرة:285]: «ومن تأمّل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها على أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلّا أنّي رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار. وليس الأمر في هذا الباب إلّا كما قيل:

والنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَارُ صُورَتَهُ *** فَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ.» (البقاعي، د.ت، صفحة 09:1)

2.3. أبو بكر بن العربي، حيث قال: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى لا تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلّا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثمّ فتح الله (عزّ وجلّ) لنا فيه، فلماّ لم نجد له حملة ورأينا الخلف بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه» (الزركشي، 2006، صفحة 36:1).

3.3. بدر الدين الزركشي، حيث قال: «وهو في المناسبة، وقد قلّ الاعتناء المفسرين بهذا النوع لدقّته» (البقاعي، د.ت، صفحة 06:01).

4.3. عزّ الدّين بن عبد السلام، حيث قال: «المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحدّ مرتبط أوّله بآخره. فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلّف بما لا يقدر عليه إلاّ بربط ركيك، يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض» (البقاعي، د.ت، صفحة 07:1)، وردّ **الزركشي** على حصر **بن عبد السلام** التناسب فيما اتّحدّ أمره، فقال: «قال بعض مشايخنا، المحقّقين: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرّقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، مرتبة سوره كلّها، وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة على بيت العزّة. ومن المعجز البيّن أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أوّل كلّ شيء عن كونه تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ» (البقاعي، د.ت، صفحة 8،7:1)

5.3. العلامة محمد علي المهايمي، قال: «هذه خيرات حسان من نكت نظم ... فأمكنني أن أبرزهنّ من خدورهنّ ليرى البرايا جمالهنّ، صور الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد أن كان يعدّ من قبيل الإلغاز فيظهر به أنها جوامع الكلمات ولوامع الآيات، لا مبدّل لكلماته ومعدل عن تحقيقاته، فكلّ كلمة سلطان دارها وكلّ آية برهان جارها، وإنّ ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار الحاجزة عن الاستكبار، ولابد منه لتوليد الفوائد الجمّة من العلوم المهمّة، وتقرير الأدلّة القويمة، وكشف الشبه المدلهمّة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل في إضمار المقدّمات، ولا إبعادَ في اعتبار المناسبات» (المهايمي، 2007، صفحة 03:1).

هذه الأقوال إنما أوردتها لبيان مدى فعّالية هذه الفكرة واتّقادها في أذهان ذوي الفكر الثاقب، الذي يغوص في محيطات معاني النظم القرآني فيستخرج درره الثمينة المتمثلة في المعاني المرداة من نظم مفرداته، وترتيب آياته وترابطها، وتسلسل سوره وتناضدها.

وبالمثال يتّضح المقال، سنورد نماذج من القرآن لبيان فكرة تناظر تركيبه .

4.تماذج من القرآن الكريم.

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا(32) كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتَ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) ﴾[الكهف: 32 - 42].

جاءت هذه الآيات بعد تصوير مآل الكفار أصحاب النار، ومآل المؤمنين أصحاب الجنّة، فأراد الله – سبحانه وتعالى – تقريب حال هذين الصنفين من خلال المثل بحال رجلين ومآلهما، أحدهما غنيّ كافر والآخر فقير مسلم.

وجاءت وتراكيب المثل ومفرداته في بيان حال الرجلين في شكل تناظري، ينتظمه أسلوب الحوار، الذي زاد من بيان مراد الله من المثل، فتراكيب المقاطع المتعلقة بالغنيّ الكافر تناظر تناظراً تقابلياً تراكيب المقاطع المتعلقة بالفقير المسلم.

أُسْتُهِلَّ المثل بصيغة الأمر - (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) – من مادة (ضرب)، التي تدلّ في سياق الآية على معنى (اُذْكُرْ و(مَثِّلْ به) (الزمخشري، د.ت، صفحة 206:3) ، وإنّما استعملت الصياغة القرآنية (اضرب) دون غيرها من المفردات المشاركة لها في الدلالة لما يترتّب على معنى الضرب من ترك آثار وعلامات للشيء المضروب به، وصورته في سياق المثل طبع أحوال الغنيّ الكافر والفقير المسلم ومآل كليهما في ذهن وفكر المخاطبين، وبالتالي يتبيّن أنّ موازين الغنى والفقر قائمة على الإيمان والكفر، والتسليم لله – عزّ وجلّ – والجحود للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا غنا باق مع الكفر، ولا فقرَ دائم مع الإيمان.

والمَثَلُ المضروب يتمثل في (رجلين)، أحدهما غنيّ متفاخر بأمواله وأنصاره من وأولاد وحشم[28] والآخر فقير، وتجلت أحداث مَثَلِ الصنفين في شكل تناظري، فجاءت تراكيبه المعبّرة عن الصنفين متقابلة، تتّضح المتناظرات من خلال الجدول التالي:

تراكيب الغني الكافر (المحاور(1))	تراكيب الفقير المؤمن (المحاور (2))
1.﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ---------- وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا﴾	7 . ﴿أصبحت خاوية على عروشها﴾
2. ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ ----------	6. ﴿يرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا﴾
3. ﴿فجّر خلالهما نهرا﴾ ----------	5 . ﴿يصبح ماؤها غورا﴾
4. ﴿كان له ثمر﴾ ----------	4. ﴿أحيط بثمره﴾
5. ﴿أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا﴾ ----------	5. ﴿إن ترن أنا أقلّ منك مالا وولدا﴾
6. ﴿دخل جنّته وهو ظالم لنفسه، قال ---------- ما أظنّ أن تبيد هذه أبدا وما أظنّ الساعة قائمة﴾	2.﴿ لولا إذ دخلت جنّتك قلت ما شاء الله لا قوّة إلا بالله﴾
7. ﴿لئن رددت إلى ربّي لأجدنّ خيرا ---------- منها منقلبا﴾	1. ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثمّ من نطفة ثمّ سواك رجلا، لكنّا هو الله ربّي ولا أشرك بربي أحدا﴾

اتّضح من الجدول أنّ تراكيب الصنفين متناظرتان تناظر تقابلي، جاء من خلال المحاورة أنّ تراكيب حال الغنيّ الكافر معبّرة عن افتخاره بالمال والولد (النفر): (أنا أكثر منك مالا - وأعزّ نفرا – ما أظن أن تبيد هذه أبدا – وما أظن الساعة قائمة - لئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيرا منها منقلبا.)، وجاءت تراكيب حال الفقير المؤمن معبّرة عن افتقاره إلى الله وأن الغنى والفقر بيد الله: (إن ترنِ أنا أقلّ مالا و ولدا- ما شاء الله - لا قوّة إلا بالله - هو الله ربي - لا أشرك بربي أحدا)

وبالنسبة إلى جنتيّ الغنيّ الكافر ومآلهما فكانت تراكيب حال عمارها وهلاكها متناظرة تناظر تقابلي، ففي حال عطائها: (جعلنا لأحدهما جنّتين من أعناب - وحففناهما بنخل – وجعلنا بينهما زرعا - تؤتي أكلها كل حين – وفجّرنا خلالهما نَهَرًا - وكان له ثمر - عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنّتك.)، وفي حال هلاكها: (فتصبح صعيدا زلقا – أو يصبح ماؤها غورا - أحيط بثمرة – وهي خاوية على عروشها.)

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَالتِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[الجمعة: 11]

في الآية تقديم وتأخير بين مفردتي (التجارة) و(اللهو)، ففي المقطع الأول من الآية نجد (تجارة)، وهي مفعول الفعل (رأى) مقدمة على (لهو) المعطوفة عليها بـ(أو) التي تفيد التخيير، وفي المقطع الأخير من الآية نجد (اللهو)، وهي مجرورة بـ(من) الجارة مقدمة على (التجارة) المعطوفة عليها بـ(واو) العطف المفيدة للجمع والترتيب، والمفردتان في المقطع الأول من الآية وردتا في تركيب فعلي، وفي المقطع الثاني منها وردتا في تركيب اسمي، وهما في كلا التركيبين متناظرتان تناظر توافق، إذ نجد في التركيب الأول (لهوا) معطوفة على (تجارة)، كلتاهما نكرة، وفي التركيب الثاني نجد (التجارة) معطوفة على (اللهو)، كلتاهما معرفة.

ففي التركيب الأول قدّمت (تجارة) على (لهو) لكون سياق الآية يدور حول البيع، إذ ذكر في الآيتين: 09، و 10 مفردتي (البيع) و (فضل)، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة:09،10]، ثم إن الانفضاض عن الصلاة في الآية الكريمة يكون إما بسبب (تجارة) أو بسبب (لهو)، غير أن (التجارة) لمّا كانت وسيلة كسب الرزق لدى التجار ومدار اهتمامهم قدّمت على (اللهو)، وهناك من رأى أنها قدمت لكونها تخص فئة التجار وحسب، أما (اللهو) فهو عامّ يشمل التجار وغيرهم.

وفي التركيب الثاني قدمت (اللهو) على (التجارة) وتقديمها عليها يجعلها مناظرة لـ(لهو) في التركيب الأول، ويجعل تأخير مفردة (التجارة) مناظرة لـ(تجارة) في التركيب الأول. هذا التناظر للمفردتين في التركيبين أحدث انسجاما نَظْمِيًّا متناغما في ترابط الأداءات المعنوية للنظم، إذ نجد (التجارة) في التركيب الثاني بينها وبين التركيب الذي يتلوها تناسق معنوي، حيث جاء قوله تعالى: ﴿والله خير الرازقين﴾، والرزق من عناصر التجارة.

جدول تبييني لتناظر عناصر تركيبي الآية

تركيب فعلي	تركيب اسمي
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾	﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَالتِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾
والله خير الرازقين 5 1 تِجَارَةً ---------- التجارة 4 2 لهوًا ---------- اللهو 3	

المثال الثالث:

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[آل عمران: 38 - 40]

قال تعالى: ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[مريم: 1 - 9]

جاء في سورة (آل عمران) قوله تعالى على لسان زكرياء: ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾، وفي سورة (مريم) ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾، بين الآيتين تناظر تركيبي، إذ حصل بتقدير وتأخير تركيبي (وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ)(وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ)[آل عمران]، (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)[مريم] في السورتين تناظر تقابلي، فـ(وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ)[آل عمران] تناظر وتقابل (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)[مريم]، و (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا)[مريم] تقابل وتناظر (وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ)[آل عمران]

جدول تبييني لعناصر تركيبي آيتي سورتي: (آل عمران) و(مريم).

آل عمران		مريم	
تركيب فعلي	تركيب اسمي	تركيب فعلي	تركيب فعلي
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ 1. وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ---------- وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا 4 2. وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ---------- وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا 3 قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ			

نلاحظ أن تركيبي رقم: 1 و 4، متناظران تناظر توافق، وهما تركيبان فعليان، يشتركان في عنصرين، في الفعل (بَلَغَ)، والاسم (الكِبَرُ)، يختلفان في (ما) أو (من) بَلَغَ الآخَرَ، ففي التركيب رقم: (1) الكبر هو الذي بلغ سيدنا زكرياء، وفي ذلك بيان أن الزمن هو الذي مرّ وفات فأوصله إلى مرحلة عمرية متقدّمة لا يتيسّر معها الإنجاب، كما أنها تشير – والله أعلم – إلى أن سيدنا زكرياء لم يكن منشغلاً بالإنجاب، فلم يعبأ بمرور الزمن. وفي التركيب رقم: (4) سيدنا زكرياء هو من بلغ الكبر، وفي ذلك بيان أنه هو من أراد الإنجاب فطلب من الله أن يهب له ولدا (غلاما) يرثه، إلا أن طلبه بنواميس الدنيا غير ممكن لكبر سنّه، فكان التعبير أنّه هو من بلغ الكبر ؛ أي أن طلبه للولد جاء بعد أن بلغ سناً متقدمة.

أما تركيبي رقم: (2) و(3) متناظران تناظر توافق، أحدهما اسمي (1) والآخر فعلي (3)، وكونهما مختلفان من حيث نوع التركيب إلا أنهما من حيث المفاد لا يختلفان؛ لأن الفعل (كانت) في هذا التركيب يفيد الاستمرار، فهي كانت ولا زالت كذلك؛ أي لا يمكن أن تنجب.

5 . خاتمة:

اتّضح من خلال معالجة الموضوع أن تناظر التراكيب في السياق القرآني ظاهرة لا تقتصر على تناظر السور والآيات وموضوعاتها، وإنّما هي سارية في كافة مستويات البناء النصي للقرآن الكريم، وأن تراكيب الحالات المتناظرة ومفرداتها كانت الوسيلة المبينة عن مراد الله، المراد توصيله إلى عباده.

ويبقى القرآن الكريم المعين الذي لا ينضب في كافة مجالات حياة الإنسان، والذي لا تنقضي عجائبه إلى يوم الدين.

مصادر ومراجع البحث:

ابن منظور. (1968). *معجم لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أبو الهلال العسكري. (د.ت). *الفروق اللغوية*. القاهرة: دار العلم والثقافة.

أحمد بن فارس. (1999). *معجم مقاييس اللغة*. بيروت: دار الكتب العليمة.

أحمد رضا. (1958). *متن اللغة*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

الزبيدي. (1984). *تاج العروس من جواهر القاموس*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

بدر الدين الزركشي. (2006). *البرهان في علوم القرآن*. القاهرة: دار الحديث.

برهان الدين البقاعي. (د.ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

عبد الرحمن السيوطي. (د.ت). *الإتقان في علوم القرآن*. بيروت: دار المعارف.

علي بن أحمد المهايمي. (2007). *تبصرة الرحمن وتيسير المنان*. القاهرة - مصر: دار بولاق.

قدور ، الرواجفة. (2019). التناظر في القرآن الكريم، تأصيل وتطبيق. *مجلة إسلامية المعرفة* ، 34.

محمود بن عمر الزمخشري. (د.ت). *تفسير الكشاف*. القاهرة: دار المصحف.